

الأدعية الساخرة و الساخطة المنسوبة إلى الولي أحمد بن يوسف في ضوء أنثوغرافيا الاستشراق الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية The sarcastic and indignant supplications attributed to the Marabout Ahmed ben Youssef In light of the ethnography of French Orientalism during the colonial period

حنيفي هلايلي^١

¹ جامعة سيدي بلعباس (الجزائر) hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/04/24؛ تاريخ القبول: 2022/06/04 ؛ تاريخ النشر: 2022/06/12

Abstract

The subject of indignant and sarcastic sayings in Algeria in the light of the ethnography of French Orientalism during the colonial period is one of the topics that did not receive attention in Algeria until late, unlike what happened in European and Arab countries, where this popular field of knowledge has been focused on since the beginning of the twentieth century. Depending on multiple approaches that ranged in form and content between what is anthropological, sociological and historical, and in which the humanities intersected with mysticism and forensic sciences. This study attempts to shed light on a series of Orientalist blogs by the French that focused on such sayings and attributed them to the righteous guardian Sidi Ahmed Ben Youssef, and they pertain to spaces for specific Algerian geographical places..

Keywords: Sarcastic sayings , Ahmed ben Youssef, Marabouts, Algeria, Ethnography, Orientalism, French colonialism

الملخص

يعد موضوع الأقوال الساخطة و الساخرة بالجزائر في ضوء أنثوغرافيا الاستشراق الفرنسي خلال الفترة الاستعمارية من المواضيع التي لم تحظ بالاهتمام في الجزائر إلا متأخراً، على عكس ما حدث في البلدان الأوروبية و العربية، حيث تم الانكباب على هذا الحقل المعرفي الشعبي منذ مطلع القرن العشرين. اعتماداً على مقاربات متعددة تراوحت في شكلها و مضمونها بين ما هو أنثروبولوجي و سوسيولوجي و تاريخي و تقاطعت فيها العلوم الإنسانية بالتصوف و العلوم الشرعية. تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على حكمة مدونات إستشراقية لفرنسيين ركزت على مثل هذه الأقوال و نسبها للولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف، و هي تخص فضاءات لأماكن جغرافية جزائرية محددة.

الكلمات المفتاحية : الأقوال الساخرة، أحمد بن يوسف ، الأولياء ، الجزائر ، الأنثوغرافيا ، الاستشراق، الاستعمار الفرنسي.

*حنيفي هلايلي

مقدمة

حاولت كثير من الدراسات إظهار التصوّف الشّيعي ضرباً من التّراجع الحضاري والتّكوص الفكريّ الذي شهدته الثّقافة العربيّة الإسلاميّة. وكانت منطلقات تلك المواقف، إمّا مفاضلة التصوّف العالم على التصوف الشيعي، أو المركزيّة العقلانيّة التي سادت نتيجة التّأثر بالفكر الغربي، أو رؤية مذهبيّة فرضها الانتماء إلى فرق إسلاميّة تنبذ التصوّف وتكفّر علماءه. سعت بعض كتب المناقب إلى اتخاذ مسار مختلف، فأثنت على أصحاب الكرامات من أعلام التصوّف الشيعي، وأشادت بخصالهم وورعهم، وببرّت اعتقاد الناس فيهم وزيارتهم لزواياهم. هناك أخبار تؤكّد سلطة الوليّ الروحيّة من خلال آليّة الدعاء وتأكيد مسار العقاب الذي يلحق المارقين والبركة التي تنال الممثّلين لأمره. لقد انتشرت الزوايا في كامل ربوع الجزائر خلال هذه الفترة، و صارت العامة تعتقد اعتقاداً مطلقاً في كرامات الأولياء، فما المدلول الذي تضمنته الكرامة؟ و ما العوامل التي جعلت العامة تنساق وراء هذه المؤسسات الدينيّة؟

مهما يكن من أمر تاريخية هذه الأقوال و الأدعية الساهرة و الساخطة المنسوبة للأولياء الصالحين في حق المدن و القبائل ، و صحة نسبها إلى هذا أو ذاك من الأولياء، فإن المهم هنا أنّها تحيل إلى الحالة المزرية التي وصل إليها المجتمع الجزائري أواخر القرن الخامس عشر و مطلع القرن السادس عشر. يبدو جلياً من مجرد قراءة النماذج الساهرة التي نسب للشيخ الصوفي أحمد بن يوسف، أنّها محاولة للترويج من طرف رواد الاستشراق الفرنسي خلال المرحلة الاستعمارية و الخط من قيمة مشايخ التصوف، لأن فكرة المجتمع المتوازن بجانيه: الفقهاء و الصلحاء هي من الأفكار الثابتة في الأدب المناقي و كتب التراجم و التاريخ. و لم يخرج الصلحاء من القاعدة القرآنية التي تنص صراحة، في القرآن الكريم : قال تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. " [الحجرات: 11]

الزاوية من خلال حضور الأولياء وكراماتهم.

إن حضور الأولياء في المجتمع و ممارستهم لوظائف التي تنسبها إليهم كتب المناقب و التراجم، تم عبر الرابطات و مؤسسة الزوايا التي لعبت دوراً في عملية التنشئة الاجتماعية. و الجدير بالذكر أن أدعية الأولياء في الجزائر اكتسبت أهمية بوصفها مقوماً من مقومات السيطرة الكاريزماتية و إحدى آليات الممارسة الصوفية القائمة وقتذاك. هل نحن أمام قوة ضغط، شكلها الأولياء في مجتمع الجزائر في مراحل ما قبل الاستعمار الفرنسي؟ ماهي الحاجات التي التجأ إليها العامة إلى الأولياء و كراماتهم؟ لقد أظهرت الكتابات أن كرامات الانتقام و السخط و المعاقبة تندرج ضمن الكرامات الاجتماعية. فالكرامة من التكرم و الإكرام بالمعنى، و حقيقتها فهي كل فعل خارق للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه ، متمسك بطاعة الله في أحواله، مستقيم الطريقة في تصرفاته، إذ قد تحصل الإجماع بطاعة الله تخصيصاً له و تفضيلاً. كما أجمعوا أنها لا تظهر على يدي فاسق.⁽¹⁾ من خلال ما سبق، نلاحظ كيف تغيرت الولاية و الأولياء من خلال الكرامة التي هي في حقيقتها طاقة و قوة ربانية، تغيرت مفهوماً و ممارسة: ضمن الولي الصالح التقي النقي المتفاني في عبادة الله استعداداً ليوم الميعاد، إلى الولي الذي أنتجته الأحداث التاريخية. لقد برز هذا الأخير لا كما سعت الكتابة التاريخية إلى تقديمه نظرياً، بل برز إنساناً تاريخياً، فجاء انعكاساً لواقع مجتمعه المتأزم.

إن إقرار فقهاء المغرب خلال القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، بأن: الكرامة لا تنقطع بالموت. و لا ينكر الكرامة إلا معاند محروم سيئ الاعتقاد كثير الانتقاد . فقد سئل ابن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م) عنها: " هل تنقطع الكرامة بموت صاحبها أم لا؟ قلنا لا تنقطع بموته، بل تظهر ... و تلوح عند قبره بركات." ⁽²⁾ لقد أزال هذا الإقرار آخر عقبة أمام انتشار و تعميم ظاهرة تعظيم الأولياء بعد موتهم لاسيما المتصل منها بزيارة القبور و التضرع عندها و كرسى واقعاً تاريخياً أصبح راسخاً في الممارسة الاجتماعية منذ عديد القرون. و مهما يكن من أمر، فإن المجتمع خلال هذه الفترة كان بحاجة لأوليائه. فقد جاء

في مخطوط مناقب الأولياء، ما نصه: " إذا غلت أسعاركم و قلت أمطاركم و ضعفت ثماركم و كثرت النيمة و الغيبة في خياركم و جارت عليكم ملوككم فالتجئوا إلى الله بالأولياء. " (3)

ما يسترعي اهتمام الدارس لظاهرة الزوايا هو ارتباط ظهورها و ازدياد نشاطها بواقع حالة التوتر و الفتنة و الحروب، التي سادت علاقات الإسلام بالمسيحية سواء في المشرق أو المغرب. فالصلاح و الولاية سلوك إنساني لا يختص به مجتمع دون غيره أو ثقافة دون أخرى، و لكنه تصرف إنساني و جد في كل الديانات و في كل الثقافات. شكلت الولاية و الصلاح للإنسان الشعبي الدرع الواقى و الحصانة السيكلوجية التي كان يستعين بها في مجابهته لقساوة الحياة اليومية.

يستدعي الكلام عن الزوايا الوقوف عند المصطلحات المرتبطة بها: كالرباط و الولاية والكرامة، و الزيارة. و نلاحظ أن هذه المفاهيم تدرج ضمن حقلين في دلالة المقدس، فبعضها يحيل على المجال كالزاوية و الرباط و الضريح، و البعض الآخر يحيل إلى التبعد و التضرع. و الملاحظ من كل هذا أن الجزائريين نهاية القرن الخامس و نتيجة ضعف الإماراتين الحفصية و الزيانية في المغرب من صد التحرشات الإيبيرية على السواحل الجزائرية⁽⁴⁾، مما أدى إلى تشبث هؤلاء بمؤسسات المقدس. يصبح الولي قبلة للزوار، فتلتف حوله الجماعة قصد التبرك به، بل تتخذ رمزا و منطلقا لحركة التفاف جماعي أيام الشدة و المحن. و في هذا السياق كتب أحد الفقهاء ما نصه: " و ليعلموا أن الزاوية لا حقيقة لها شرعا، و لا ذكر لها، و إنما لفظة محدثة، و معناها مركب من أمرين أحدهما: التفرغ لعبادة الله... و الثاني إطعام الطعام و هي في عادة المتأخرين." (5) و يتضح من خلال هذا التعريف أن وظائف الزوايا لا تدرك إلا إذا وضعت في سياقها التاريخي: فهي ليست مجرد مجال للعبادة و احتباس للنفس، وإنما تعداه لتصبح مركزاً للمرابطة و الجهاد قبل أن تصبح مؤسسة اجتماعية و سياسية. لقد

أدت الزوايا أدواراً اجتماعية و اقتصادية و سياسية في جزائر القرن السادس عشر، و شكلت قوة حيوية أطرت الجزائريين و ملأت الفراغ السياسي، خاصة بعد ضعف الإمارة الزيانية و مهاداتنها للإسبان.

لا تخرج أصول الطرق الصوفية عن أصول الأولياء، فتتحقق التقوى بالورع والاستقامة، و تحقيق السنة بالتحفظ و التوكل وحسن الخلق، و تحقيق الأعراض بالصبر و التوكل، و تحقيق الرضا من الله بالقناعة و التفويض، و تحقيق الرجوع إلى الله بالحمد و الشكر و اللجوء إليه. فأصول المعاملة عند المتصوفة خمسة: طلب العلم للقيام بالأمر، و صحبة المشايخ الذين أقامهم الحق سبحانه ، و الإخوان لتبرك، و ترك الرخص التأويلات للتحفظ، و ضبط الأوقات بالأوراد للحضور، و اتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى و السلامة من العطب و الغلط.⁽⁶⁾

محطات من تاريخ الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي.

لعب أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني (1437-1526) دور سياسي كبير حيث ربط علاقات جيدة مع العثمانيين في الجزائر، وتحالف مع الإخوة بربوسة و البحارة العثمانيين بعد ظهورهم بمدينة الجزائر منذ 1512. خاصة بعروج و أخيه خير الدين ⁽⁷⁾ . يعد الشيخ بن يوسف من أشهر مشايخ الصوفية بالجزائر و ببلاد المغرب في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي. قال عنه أبو القاسم سعد الله: " و لعل أحمد بن يوسف الملياني ،هو أكبر شخصية صوفية خصها المؤلفون بالتقاييد والتأليف، فأنت لا تكاد تجد عملا في التصوف لا يشير إلى ترجمته و حياته الروحية."⁽⁸⁾

و في سياق التراجم التي أرخت لحياة الشيخ ما جاء في أعلام المغرب العربي رقم 1455: " أحمد بن يوسف الراشدي، قيم طريقته، ولد بدوار رأس الماء في أرض بني راشد ، بين

معسكر و غليزان،.. العديد من علماء المغرب و فقهاءه و مؤرخيه، ينكرون أن يكون الشيخ ابتدع شيئاً من البدع الكبار التي تتسم بها طريقته، أو وافق عليها، و يضعون أوزارها على عاتق الغلاة من أتباعه، ونسبوا إليه الأقوال و أعمالاً لم يعملها. و قد رد في إحدى جلساته: من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة و القلة و الموت على غير الملة. "(9) أجمع الدارسون الذين اعتمدوا سير أحمد بن يوسف المصنفة المبكرة و الحديثة، على أنه و لد بقلعة بني راشد التي تعرف باسم " قلعة هواره". (10)

هذا هو الإطار الطبيعي و البشري الذي نشأ فيه أحمد بن يوسف و ترعرع ، و به قضى جل أطوار حياته، و قد أثرت ظروفه الموضوعية و التاريخية في الأدوار التي اضطلعت بها الزاوية الراشدية الأولى التي أقامها الشيخ بهذا الإقليم، و تشير معظم المدونات التي أرخت للحياة العلمية للزاوية الراشدية ، بأن الشيخ اهتم بالعلم و العلماء و الطلبة. حيث توسع في القيام بوظائف الإيواء و الإطعام. و ظلت أبواب الزاوية في حياته مشرعة في وجه قاصديها و زوارها أفراداً و جماعات. كما قتم بدوره في مواجهة المرضى. و كان لا يخشى العدوى فيلامس الداء. لقد تفشت الأوبئة في الجزائر على عهده ، و جاء من فاس ، و تلمسان ، و بجاية و مستغانم و الشلف، و قد انتشر جراء المهاجرين اليهود المطرودين من الأندلس عقب سقوط غرناطة سنة 1492. (11)

اضطلع أحمد بن يوسف بمهمة رئاسة السالكين و تربية المرددين في السعي إلى تحقيق علاقة الإنسان بالله عن طريق المعرفة به. و قد أكد في العديد من أقواله أهمية دور الشيخ الذي لا غنى للسالك عنه ، في الاستعانة به، و قد تحدث عن شروط الولاية بقوله: " الرسل في المثال شمس و النبيون و عامة الأولياء كواكب، فبالشمس يستضاء و بالقمر يستنار و بالنجوم يهتدي، فالرسل حجة الله على عباده، و النبيون أمناء الله في أرضه و الأولياء رحمة

الله على خلقه." (12) لقد ارتكز الصوفي أحمد بن يوسف من خلال إسهامه الدعوي إلى رفع العداء المصطنع بين الفقه و التصوف، او ما يعبر عنهما عادة بين الشريعة و الطريقة، و جمع بين هذين البعدين من أبعاد الإسلام. يقول الشيخ: " الفقه للأديان والطب للأبدان و التصوف للجنان." (13). يتضح من هذا القول أن أحمد بن يوسف ارتكز على الجمع بين الشريعة و الحقيقة في اطار التلازم و التكامل المفيد للطريقة.

ساهم الشيخ أحمد بن يوسف في بداياته بنشر الطريقة الشاذلية و الزروقية، ثم بدأ بنشر طريقته الخاصة به المعروفة بالراشدية. فالطريقة التي أسسها الملياني عدت حلقة من السلسلة الشاذلية الزروقية، و إذا كانت المصادر تنعت أحمد بن يوسف " بشيخ الطوائف المغربية" (14)، فذلك لأن طريقته تعد الواسطة التي أوصلت جبل الزروقية (15) بالمغرب، والقناة التي تفرعت عنها به طوائف و زوايا. و الطريقة الراشدية فرع من الزروقية ، من حيث السند، أما من حيث النحلة فإن الملياني قد حرص على تأسيس طريقة تخصه. (16)

إن صورة الولي الصالح أحمد بن يوسف الذي نشط ذكره في وطن بني راشد و معاشر هواره من بلاد الجزائر، و تمكن صيته من أن ينفلت إلى مجال أرحب و أوسع، و هو مجال التصوف الإسلامي بوجه أعم، و التصوف المغربي بوجه أخص. و الفضل في ذبوع شهرته و انتشارها شرقا و غربا إنما يؤول إلى صورته كعارف و كصاحب مذهب صوفي. يحسن بنا الذكر في مستهل الحديث عن المدرسة الصوفية التي كونها الشيخ أحمد زروق ،أنها أحدثت حركة سلفية و أرست قواعد التصوف و حاربت البدع،والانتساب سمي كإجراء بالتلقين الذي يشمل المراحل الثلاث: العهد و الذكر و الخلوة. و هكذا سيصبح الشيخ أحمد زروق عن طريق تلميذه أحمد بن يوسف الواسطة في الشاذلية. و إذا قررنا اتصال الراشدية بالزروقية بالسند، و انفصالها عنها على مستوى النحلة و المذهب، فنخلص إلى أن الطريقة الراشدية ،

ساهمت في نشر السند الزروقي في بلاد المغربين الأوسط و الأقصى، تذكر بعض المصادر أنه ساح في الأرض لمدة تزيد عن 15 سنة بفاس وتلمسان وتاهرت وفجيج، ثم انتقل إلى الزاب وبلاد الجريد والقيروان وطرابلس والإسكندرية والقاهرة وجدة، وحج وأقام بمكة، ومنها انتقل إلى المدينة المنورة حيث أقام هناك سنة كاملة. وبعد هذه الرحلة العلمية والروحية عاد إلى بلاده ينشر العلم والطريقة معاً، فأسس زاويته بـ"رأس الماء" بوادي الشلف، درس بها مختلف العلوم الشرعية، وكوّن فيها المريدين، وسرعان ما عرف شهرة واسعة في المنطقة والمناطق المجاورة. (17)

عنيت سياسة العثمانيين اتجاه الصوفية في الجزائر دوراً مهماً في تعزيز مكانة أحمد بن يوسف و زاويته و أحفاده في المنطقة و في المحافظة على ذكره و تعزيز نفوذه الروحي من أجل ضمان تهدئة الفتن بين سكان الجبال و التصدي للفضى بين قبائل السهول. فكان الأخوان عروج و خير الدين قد ظهرا في المغرب الأوسط منذ عام 1512م، و قاما بوظيفة الجهاد التي أهملها الأمراء الزيانيون، فشايهم الشيخ أحمد بن يوسف و آزرهم في حركتهم الجهادية ضد الاحتلال الإسباني المسيطر على معظم المناطق الساحلية للجزائر. وقد تعرض الشيخ لمضايقات الزيانيين، حيث أصدر أبو حمو الثالث (1516-1528م) أمير الدولة الزيانية، مرسوماً يقضي بإعدام الولي أحمد بن يوسف فأدخل بموجبها السجن، و لكن حسب الأسطورة اختفى فجأة، فلقب بالسجين المختفي، فذهب إليه السلطان، و قال له: " اذهب لقد سرحتك" (18). و كانت دعوته أن هرب و استنجد سكان تلمسان بعروج ببروسة، وبعد استشهاد عروج لجأ إلى مزغان وربط علاقات حسنة مع أخيه خير الدين مؤسس أيلة الجزائر.

و بفضل هذه المهمة الإنقاذية توطدت علاقة الزاوية الراشدية بالعثمانيين و استمرت إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م. و قد عنيت الأسطوغرافيا المهمة بتاريخ الطريقة الراشدية بعلاقة الشيخ مع العثمانيين، و خلصت إلى توظيف المهارة السياسية للأخوين بربروسة في استمالة متصوفة الجزائر لصالح مطامعهم السياسية في الجزائر و الإطاحة بإمارة بني زيان، كذلك الاستعانة بهم ضد منافسيهم السعديين في المغرب الأقصى، و لا يستبعد أن يكون لخير الدين يد في إقامة ضريح أحمد بن يوسف في مليانة لأهميته و حتى تسهل مراقبة نشاط أتباعه عن قرب.⁽¹⁹⁾

أدرك المستشرقون أهمية الدراسات الإثنوغرافية في ترسيخ الاحتلال، لأن تلك الدراسات تمكّن من معرفة ذهنية السكان وتكشف عن تناقضاته الاجتماعية وذلك من شأنه أن يغني إدارة الاحتلال عن الخسائر التي تنجرّ عن الاعتماد الكلي على القوة العسكرية، ولذلك كانت الدراسات الإثنوغرافية أهمّ العناصر التي تُبنى عليها القرارات والإجراءات الاستعمارية، وفي هذا السياق اعتبر الباحثون الإثنوغرافيون أنّ المجتمع المغاربي تحكمه منظومتان قانونيتان إحداهما تقليدية عرقية شفوية وهي امتداد لنظم ما قبل الإسلام ومنها تستمدّ الجماعة تشريعاتها، والأخرى إسلامية يعمل بها الفقهاء ومؤسسة الزوايا بمختلف طبقاتها. و في السياق نفسه قدم لنا الضابط الفرنسي و المكلف بالشؤون الجزائرية لدى الحكومة العامة بالجزائر لويس رين (Rinn Louis) (1905-1838) في كتابه: "مرابطون و إخوان: دراسة عن الإسلام في الجزائر"، الصادر سنة 1884. كم هائل من الإحصائيات حول الطرق الصوفية و الزوايا، من واقع التقارير و الأرشيفات. فقد ذكر أن الزاوية اليوسفية الراشدية لصاحبها الشيخ أحمد بن يوسف دفين مليانة، يشمل اطارها الديني على زاوية واحدة و 5 مقدمين، و 519 من الأتباع في إحصاء لسنة 1882.⁽²⁰⁾

في حين قدما كل من كابولاني و ديبون إحصائيات حول الزاوية الراشدية اليوسفية في كتابهما الموسوم ب الطرق الدينية الإسلامية، الصادر سنة 1897، تضمنت حسب الجدول التالي:

جدول رقم(1) أتباع الزاوية اليوسفية الراشدية لسنة 1897.

أتباع الزاوية المجال الجغرافي	الزاوية	الوكلاء	الشيخ	المقدمين	الإنسان	المجموع
وهزان و ضواحيها	/	/	/	3	1.000	1.003
تلمسان و ضواحيها	/	/	/	1	95	96
البقيع	/	/	/	/	106	106
مشيرة	/	/	/	1	29	30
عين الصفراء	1	/	1	3	207	212
المجموع	1	/	1	8	1.438	1.447

و تشير الدراسة أيضا أن أتباع الطريقة انتشروا في أماكن جغرافية متعددة من الجزائر ،
في غليزان ، و عند الحساسنة بسعيدة، و الحرار بتيارت، و أولاد شعيب ببسكرة،
و أولاد نايل بالجلقة.(21)

ظاهرة الأقوال الساخرة و الساخطة في اهتمام الأنثوغرافيا الاستعمارية.

تنسب لأحمد بن يوسف مجموعة من الأدعية و الأقوال المأثورة المسجوعة في المدن و القرى و القبائل تعدت 117 قولاً معظمها ساخرة و ساخطة، حسب الدراسة التي قام بها المستشرق الفرنسي هنري باصيه، كان قائلوها ينسبونها إلى الشيخ أحمد بن يوسف لإعطائها نوعاً من الأهمية و المصادقية الصادرة من ولي الطريقة الراشدية. و لم يتميز الراشدي عن بقية مشايخ التصوف في دراسات المستشرقين إلا بهذه الأقوال و الأدعية المنسوبة إليه. تندرج محاور اهتمام الاستشراق الفرنسي بظاهرة الأدعية الساخرة ضمن منظومة الثقافة الاستعمارية المرتبطة بحقول الأنثروبولوجيا و الإثنوغرافيا و الدين. تقدم المصادر المغاربية و الأجنبية ثلاث مجموعات تراثية تنتسب إلى الشيخ أحمد بن يوسف:

المجموعة الأولى: مجموعة الأقوال و الرسائل التي جمعها الصباغ⁽²²⁾ خلال النصف الأول من القرن 16م.

المجموعة الثانية: مدونة الأقوال و الرسائل التي جاءت بمخطوط التعريف⁽²³⁾ خلال القرن 19م.

المجموعة الثالثة: مجموعة الأدعية التي اعتنت الاثنوغرافية الفرنسية بتجميعها و نشرها في العقد الرابع من القرن 19م.

اعتمدت الاثنوغرافيا في مادتها على الرواية الشفوية. و لم يشك جامعوها أنفسهم في عدم نسبتها إلى أحمد بن يوسف، و ذهبوا إلى القول بأنها من صنع أجيال الوسط الجزائري، و إنما نسبوها إليه لإكسابها بعض المفعول. واضح كيف أن مسألة الأدعية الساخرة المنتجة في الإطار الاثنوغرافي الاستعماري، تعمل على طمس ديناميكية الطريقة الراشدية في شخص

شيخها أحمد بن يوسف. إن اللجوء إلى الاجتهاد في مجال تدوين التراث الصوفي تحت طائل الكتابات الاستعمارية وفق أيديولوجية تفردت بطمس المعطيات العلمية و الموضوعية، أكان على الصعيد الفيلولوجي (اللغوي) ، أم على الصعيد التاريخي الديني، أو على صعيد ثقافة المجتمع الجزائري.

الواقع أن النتائج التاريخي لهذه المرحلة ، قد ترافق مع التبرير الأيديولوجي للحركة الاستعمارية التي بررت أن الأدعية الساخرة على المدن و القبائل الجزائرية المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف تندرج ضمن تراث الأدب الشعبي ، و الذي عرفته الشعوب السامية منذ القدم، و هو يتضمن مصطلحات مركبة تكون عبارة عن ثناء أو لوم.

ويلعب الجناس و التجانس دوراً كبيراً في هذه اللهجة القصيرة الجمل ، حيث يقدم لنا الكتاب المقدس أقدم عينة. و استكمالاً للصورة التاريخية المستحضرة في هذه الدراسة، فإن المدونة الفرنسية المتعلقة بالأدعية الساخرة شملت خمس دراسات، سنقدمها حسب تاريخ صدورها خلال الفترة الاستعمارية، وهي كالاتي:

1- والسين إسترهازي. (Walsin-Estherazy) (24)

ضابط فرنسي (1807-1857) رافق معظم الحملات الفرنسية في الجزائر منذ دخوله إليها سنة 1832. ارتقى إلى رتبة جنرال في الجيش الفرنسي و مكث بالجزائر مدة ثمانية عشر سنة. اهتم بالتنظيمات العسكرية العثمانية بالجزائر. ترك كتابا قيما عن مخزن وهران تناول فيه المناطق الغربية للجزائر و علاقة جيش الاحتلال بمقاومة الأمير و قبائل الدوائر و الزمالة وتعداد القوات الفرنسية بالمنطقة. يبقى كتاب إسترهازي " السيطرة التركية لأيالة الجزائر السابقة " ، الإنجاز الأهم في تأريخ تطور الأدعية الساخرة و الساخطة في الجزائر خلال الفترة العثمانية من منظور ديني أنثروبولوجي استعماري، حيث يشدد الضابط الفرنسي، و عبر حشد كبير من التعابير و المقولات الساخرة ، على أن هذه الأدعية الساخطة انبنت تدريجيا

على الذاكرة و الاعتقاد السائد زمنئذ في المتصوفة و الأولياء الصالحين، و أن معظم مدن بايلك الغرب كانت به أمثال شعبية ساخرة خاصة به، و قد عد منها 13 قولاً. و هذا يعني ضمن فرضية أن الأدعية الساخرة اعتمدت بدرجة كبيرة على عملية توارث الذاكرة الشعبية عبر أجيال عديدة في مختلف المدن الجزائرية. و هنا جاز لنا القول بأن الضابط الفرنسي خص هذه الظاهرة في مجال جغرافي محدد يتمثل في الغرب و الوسط الجزائريين كخط جغرافي يلامس فيه ثقافة المجتمع الجزائري و اعتقاداته الساذجة في المتصوفة عن طريق السخرية. و من الأمثلة التي ساقها الكتاب حسب الجدول الآتي:

جدول رقم (2) الأمثلة الساخرة و الساخطة عند إسترهازي:

الرقم	المنطقة	الأمثلة الساخطة و الساخرة
1	مازونة	يحجو بكبارهم بصغارهم و تأكلهم النار بترأهم بحجارهم.
2	تنس	تنس مبنية على دنس، ماها (ماؤها) هواها سم و الله بن يوسف ما ييات ثم (هناك).
3	مستغانم	أهل مستغانم مطلعين البلغا على حس المضغة.
4	بنو عامر	دمر عليهم الله نبوح الوسط بنو دمار
5	شلف	خير الأوطان تخلي بعد العمارة و تصوير دكان و يعمر كالفانصيص) (الفرنسيين) النصاري.
6	المتيجة	متيجة بقرة سمينة وشحمها للقيسيس لوها (أولها) للترك و آخر(آخرها) للنصاري
7	البليدة	الناس قالو لك البليدة ،أنا سميتك وريضة (وريدة).
8	معسكر	حين تجبره سحندر(بدين) مبندر (فخور) و سي الفر (قذر)، يمكنك أن تقول بأنه من أولاد معسكر.
9	مليانة	نساءها وزرا(حكام) و رجالها يسرا(أسرى).
10	الحشم	دراهم نخيسي(درهم مغشوش) و على رجل غريسي
11	المدية	ما هدية يدخل الشر الصبح يخرج العشية (المساء).
12	البعقوبة	زينة العقوبة

	(سعيدة)	
13	الشلف	سبعون عيون سلكان و يدان

كثيرة هي المدن التي ذكرها الضابط الفرنسي منها: مليانة و المدية و مازونة و معسكر و اليعقوبية و البليدة. لكن السؤال الذي يظل قائماً ، لماذا ركز الضباط الفرنسيون على الأمثلة الساخرة المنسوبة للأولياء الصالحين و تسليطها على الساكنة و المدن؟

2- فلوريان فرعون Florian Faraon

خصت دراسة فلوريان فرعون Pharaon (1829-1887) ، فقرات مهمة للحديث عن الأدعية الساخرة ⁽²⁵⁾، و هي في الحقيقة استنساخ لما ذكره استرهازي سابقاً. فقد عمل فرعون مترجم بالجيش الفرنسي منذ سنة 1846، في مقاطعة المدية ، و ألف العديد من الدراسات حول الجزائر، منها بحث حول المرباط سيدي أحمد بن يوسف الذي عده من أشهر المتصوفة على الصعيد الشعبي في المجال المغاربي حتى تخوم مصر، حيث ترك لنا في كل مكان دعوة أو مثل ، سواء كانت قبيلة أو مكان. والتي بلغت 16 قولاً في هذه الدراسة ⁽²⁶⁾. و مما قاله عن تلمسان: تلمسان، مدينة الفرسان الوسيمين، مياها وهوائها وطريقة لباس نسائها، لا وجود لها في أي مدينة أخرى.. و قال عن قوتها و يقظة أهلها، ما نصه: تلمسان بسبعة أسوار وسبعة حظائر، سكانها لا ينامون ليلاً أو نهاراً. و بسبب حادثة وقعت له بمعسكر، حيث حاول أهل سيدي بوجلال سرقة دابته، فقال عنهم: يا معسكر جمعت أسرار كل أولاد الحرام ورميتهم في معسكر بسيدي بوجلال. ⁽²⁷⁾

3- أوجين دوما Daumas Eugène ⁽²⁸⁾

اهتم الجنرال دوما Daumas (1803-1871) بجمع بعض الأدعية الساخطة حول القبائل الجزائرية في كتابه الحياة العربية و المجتمع الإسلامي، و قد بلغت 31 دعاء ، حيث عمل على جمع الدعاوي التي نسبت إلى بعض متصوفة الجزائر من بينهم سيدي أحمد بن يوسف و الهواري و غيرهم ⁽²⁹⁾. كما شكلت المدن و القبائل محور هذه الدعاوي، و مما

جاء عن وهران : " وهران الفاسدة، بعناك لقوم الكافرة، حتى يوم القيامة "، و أيضا: وهران للبيع و الشراء.. لا تقارنهما ببلاد آخر.. ليدخلها فقير يصبح غني... وهران للبيع و الشراء.. لا تقيسها ببلاد... من دخولها فقير.. يولي غني." (30)

4- كليمنت دوفونوا Clément Duvernois (31)

قام الصحفي الفرنسي دو فونوا (1836- 1873) في كتابه الموسوم بـ " الجزائر الخلابه " ، بتتبع مدن الجزائر و المناطق التي استوطنها الفرنسيون، فأشار في معظم مناطق الشمال بذكر دعاوي المرباط أحمد بن يوسف. و قد عد 14 دعوة ارتبطت بعديد المناطق منها وهران التي يثول عنها حسب ما تردد على ألسنة سكانها، و المنسوب إلى أحمد بن يوسف: " وهران الفاسقة إني بعثك بيعة موافقة لنصارى إلى يوم البعث و التالقة (اللقاء)". (32) و مما يلاحظ على هذه الدعوة الساخطة على وهران أنها تشبه دعوة الهواري على المدينة: " روجي يا وهران الفاسقة.يا كثرة الجور و البغي و الطارقة .يا ذات الأهل الباغية السارقة. إني بعثك بيعة موافقة." (33)

5- رونييه باصيه (René Basset)

كبير المستشرقين الفرنسيين (1855-1924) ومدير مدرسة الآداب في الجزائر حوالي أربعين سنة وهذا منذ 1880. كان في خدمة الإستشراق الفرنسي في الجزائر طوال هذه الفترة، حيث سخر لخدمة الإدارة الاستعمارية بكل حرص وجهد. وجند الفرنسيين والجزائريين معاً ووظفهم للتدريس والبحث و التأليف و النشر، أستاذ اللغتين العربية و الأمازيغية بامتياز. (34)

كانت الحكومة العامة تسانده بالمال للقيام بأبحاثه وأبحاث تلاميذه وبعثاتهم ورحلاتهم. توجته الإدارة سنة 1905 برئاسة مؤتمر المستشرقين الدولي 14 في الجزائر. كان باصيه يتقن عدة لغات فعمل أستاذا بمدرسة الآداب بالجزائر سنة 1885 ثم عين مديراً لها سنة 1894، ليصبح عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر سنة 1911. ترك إنتاجاً غزيراً لاسيما في الدراسات العربية و البربرية وقد ترجمت أعماله تكريماً له من طرف تلاميذه و أصدقائه (35). كان باصيه

يتجول في الجزائر بحثاً عن المكتبات و المخطوطات. وهي عدة المستشرقين، وقد ترك وصفا لفهارس المكتبات في بعض الزوايا و المناطق و منها بعض المناطق في الصحراء الجزائرية⁽³⁶⁾. قام المستشرق الفرنسي رينيه باصيه بجمع تراث المرابط أحمد بن يوسف في دراسة نشرها بالمجلة الآسيوية ، بعنوان : الأقوال الساخرة المنسوبة لسيدي أحمد بن يوسف (Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed ben Yousof) و هي أدعية تنبذ إلى قبائل و المدن و سكانها.

لقد أشار المستعرب الفرنسي باصيه بأن بحثه حول الأمثال و مأثورات الأدعية الساخرة و الساخطة على المدن و القبائل الجزائرية في الفترة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، ماهي سوى تقليد يندرج ضمن الأدب الشعبي المعروف عند الشعوب السامية، فهو عبارة عن أدعية تويخية، ربطها المستعرب بتراث التوراة عند اليهود. فقد وردت هذه المقولات لأول مرة عند الضابط الفرنسي إسترهازي الذي جمع 12 مثل، و عند دوما ب 31 قول، ثم أكملها باصيه في 117 مثلاً، و هي أدعية منصوبة للولي الصالح أحمد بن يوسف الملياني⁽³⁷⁾.

قدم باصيه عرضاً شاملاً للتصوف في بلاد المغرب و ركز على الجزائر عبر سلسلة الشيوخ. و الملاحظة التي يمكن تسجيلها من خلال تتبع ما جمعه المستعرب باصيه في هذه الدراسة، أنه ربط الويل و الدعاء الساخط على حيز جغرافي يمثل الغرب و الوسط الجزائري من خلال الولي الصالح أحمد بن يوسف دفين مليانة . جمع باصيه نماذج الأدعية الساخرة لبابلك الغرب ب 52 قول، ثم أكمل البقية بأمثلة شملت مدن و قبائل جزائرية مختلفة. و الجدول التالي يقدم بعض النماذج من هذه الأدعية مدونة حسب ظهورها في دراسة المستعرب الفرنسي.

جدول رقم(3) الأمثلة الساخرة في دراسة باصيه:

الرقم	المنطقة	الأمثلة الساخرة
1	الخميس	بني وراغ، رغت منهم الأنبياء و الأولياء.

2	القطاع الوهراني	بني عامر دايرتكم يهود، ودراهمكم دية موجود (بسبب تحالفهم مع الإسبان).
7	القطاع الوهراني	أهل غمرة، القوم مرة، صرهم في صرة، و اقطعهم في مرة، تريخ من ذيك الجرة.
9	القطاع الوهراني	هبرة مغولة الفريديات، و مشنشة الكبيدات، كل دبرة تبرأ، و عضبة هبرة ما تبرأ.
20	مازونة	المازوني يبيع البرنوس، و يشري الكابوس، و يخرج من الدار و يكب في الجار.
25	مستغانم	مسك الغنائم، إلى دخلها شهيد، و ظالمها ما يموت كيف يريد.
28	وهران	فاسقة، يدخلوها الدراهم كالحشيش، و يطيروا كالريش.
45	تلمسان	مزينة الفرسان، ماءها و هاواها، و تلحيث نساها، ماكان في البلدان.
55	الجزائر	جزاير بني مزغنة الداخلة زراب، و الخارج منها هارب.
76	بوسعادة	كبارهم يدبروا، و صغارهم ما يكبروا.
79	الشلف	شلف يايدعاوي، يقل منك الجوامع و يكثر القهاوي.
83	المدية	المهدية، يدخلها الشر الصباح، و يخرج منها العشية، لو كانت امرأة، ما ناخذ إلا هي.
87	المتيجة	متيجة بقرة سمينة، و شحمها للجنسين أولها للترك، و آخرها للنصارى.
109	تنس	تنس، مبنية على دنس، ماءها دم، و هواها سم، و الله سيدي أحمد ما ييات ثم، صب يالقط.

خاتمة

يخلص الباحث الطاهر بونابي في كتابه حول (التصوف في الجزائر)⁽³⁸⁾، أن المهتمين بدراسة تاريخ التصوف في المغرب الأوسط خلال القرنين 6-7هـ/12-13م، لم يعيروا الكرامات الصوفية أدنى قيمة، و اعتبروها ظاهرة سلوكية مرتبطة بقوى غيبية،

و مشاهدات و مكاشفات سحرية و خرافية، بينما هي في حقيقة الأمر واقع أفرزته الظروف التاريخية على مناحي الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية. و استدل بقول الونشريسي (ت 914هـ-1508م)، الذي قال في شأنها: "بأنها فعل خارق للعادة تظهر على يد عبد صالح في دينه متمسك بسنة الله في جميع أحواله من غير ذي التنبؤ".⁽³⁹⁾

كان المستشرقون الرائد الناصح و المستشار المعين له في كل المجالات، و لم تكن بحوثهم في الإسلام و تاريخ الشعوب و حضاراتهم إلا التحريف و التزييف و التلاعب بعقيدة الإسلام و تشويه صورة الدين و الأمة، و إحداث الثغرات في الصفوف بعد التوحيد، وكان همهم الوحيد من وراء البحث و تقصي الحقائق هو الخداع و الاحتيال باسم الحضارة و الإنسانية. و الحصيلة، مثلت مسألة الأدعية الساخرة و الساخطة الناقمة على مدن الجزائر و سكانها أساس الجدل في الكتابات الإستشراقية الفرنسية، و التي حاولت التأكيد على صحة المقولات و نسبتها إلى شيوخ و علماء أجلاء في التصوف.

من خلال ما سبق يبدو أن هؤلاء حاولوا إصااق مثل هذه الاعتقادات في ذاكرة العلماء، الذي كانوا يحثون على ترك البدع ما ظهر منها و بطن، و الاستنارة بالعلم الصحيح و التحلي بالعمل الصالح. أفلحت صورة الشيخ أحمد بن يوسف العارف في تحقيق ما قصرت عنه صورة الصلاح. و إذا كانت الحركة الصوفية التي تزعمها ، قد جاءت كرد فعل ضد الخوف من النار الذي أصبح سمة الفرد من التعبد الذي دعت إليه غالبية المذاهب الصوفية المغاربية منذ القرن 16م. تعامل المستشرقون مع التراث الجزائري بعد الاطلاع على فهارسه ، في شكل أبحاث و ملاحظات و انطباعات، بالنقل و النسخ و الترجمة و المقارنة و المقابلة بين نصوصه، و باقتطاع الوثائق و المقتطفات التاريخية، و التعرض لها بالشرح و التعليق و التعييب. لعل أو ما يعاب على الفعل الإستشراقي في مجال التاريخ، استمرار وفائه لقاعدة تعامل الاستشراق من حيث تغيير المصطلحات و تكييفها مع الثقافة الغربية. وكان الهدف من وراء هذه الدراسات الحط من قيمة التراث الصوفي الجزائري و ربطه بالسذاجة و العقم و الخرافات و البدع.

الإحالات:

- (1) أبو العباس، العزفي، دعامة اليقين في زعامة المتقين (تحقيق: أحمد التوفيق)، الرباط: مكتبة خدمة الكتاب، 1989. ص 23.
- (2) ابن قنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد، أنس الفقير و عز الحقيير، (نشر و تحقيق: محمد الفاسي و أدولف فور)، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965، ص ص 4-7.
- (3) نللي سلامة، العامري، الولاية و المجتمع، ط 2، بيروت: دار الفارابي، 2006، ص 145.
- (4) للمزيد من المعلومات حول ضعف الدولة الزيانية و التحرشات الإسبانية، يراجع: مختار، حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)، الجزائر: منشورات الحضارة، 2009، ص ص 165-201.
- (5) فاطمة خليل، القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (جمع و تحقيق و دراسة)، ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1401هـ-1981م ج 2، ص 371.
- (6) علي فهمي، خشيم، أحمد زروق و الزروقية، ليبيا: دار المدار الإسلامي، ط 3، 2002، ص ص 190-191.
- (7) حول التدخل العثماني في غرب المتوسط، و ظهور الإخوة ببروسة في سواحل المغرب، يرجى العودة إلى الدراسة القيمة: محمد، دراج، الدخول العثماني إلى الجزائر، و دور الإخوة ببروسة (1512-1543)، ط 2، الجزائر: شركة الأصالة للنشر و التوزيع، 1434هـ/2013م، ص ص 181-232.
- (8) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1500-1830، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998. ج 2، ص 114.
- (9) عبد الوهاب، بن منصور، أعلام المغرب العربي، الرباط : المكتبة الملكية، 1410هـ/1990م، ج 5، ص ص 137-146.
- (10) حول قلعة بني راشد أو قلعة هواره ، راجع: Troussel, « Kalâa (des Beni-Rached) », In, BSGAO, n°47, 1927, pp. 29-57/ 101-131. Yver, Georges, « Kal'at Huwara », In, Encyclopédie de l'Islam, Leyde- Paris, 1927, T2, p.721.
- (11) عبد الله، نجمي، التصوف و البدعة بالمغرب: طائفة العكاكزة، ق 16-17م، ط 1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1421هـ/2000م، ص ص 89-104.
- (12) الصباغ، محمد بن محمد بن أحمد علي القلعي، بستان العرفين الأزهار في مناقب زمزم الأخبار و معدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب و الدار، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، عدده 243 ك. ورقة 210.
- كما توجد نسخة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، رقم 1707.
- (13) نفسه، و 216.
- (14) عبد الله، نجمي، المرجع السابق، ص ص 117-126.
- (15) أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، أبو العباس، زروق، فقيه محدث صوفي. من أهل فاس، تفقه في بلده وقرأ بمصر. ولد سنة 846 هـ - 1442م وتوفي في تكرين سنة 899 هـ - 1493م. غلب عليه التصوف فتجرد وساح،

- له تصانيف كثيرة منها: «الاختصار مع التحرير» و«شرح مختصر الخليل»، و«إعانة المتوجه» في التصوف . التقى الملياني بشيخه أحمد زروق في بجاية مركز نشاط دعوته العام 1487م.
- للمزيد من المعلومات، ينظر: علي فهمي، خشيم، المرجع السابق، ص 167. و أيضا: خير الدين، الزركلي، الأعلام، ط 7، بيروت: دار العلم للملايين، 1986، مجلد 1، ص 91.
- (16) من الراشدية تفرعت عديد الطرق الصوفية في المغرب منها: الدرقاوية، و الدلائية، و الكرزائية، و الشيخية، و الحنصالية، و الزيانية.
- (17) عبد الله، نجمي، المرجع السابق، ص 78.
- (18) للمزيد حول الموضوع راجع: محمد، دراج، المرجع السابق، ص 95
- (19) نفسه، ص ص 102-103. تم تشييد زاوية سيدي أحمد بن يوسف خلال عام 1530م في مدينة مليانة. تم تجديد الزاوية في عهد محمد الكبير باي وهران في أواسط القرن الثامن عشر . حيث أمر ببناء ضريح القطب الخليل الشيخ أحمد بن يوسف سنة 1192هـ/1774م.
- (20) Rinn (Louis), Marabouts et khouans, étude sur l'Islam en Algérie, Alger, Adolphe. Jourdan, 1884.p.272.
- (21) Octave Depont et Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Alger, Adolphe. Jourdan, 1897.p.466.
- (22) البستان للصباغ ، هو المصدر الوحيد الذي قدم لنا معلومات عن المذهب الذي قامت عليه الراشدية، إلا أنه مصدر مقل لا يورد إلا النزر القليل من النصوص الأصلية لفكر الشيخ أحمد بن يوسف.
- (23) الأجراس سيدي أحمد بن يوسف (التعريف)، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط، عدد 1457 د، 1471 د.
- (24) Walsin, Esterhazy, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, librairie de Charles Gosselin, 1840, pp.164-229.
- (25) Féraud, Charles, Les interprètes de l'armée d'Afrique, Alger, A : حول حياته ينظر Jourdan, 1876.pp.290-291.
- (26) Pharaon, Florian « Le Marabout Sid Ahmed Ben Youssef et ses Daaoui », In, Revue de l'Orient de l'Algérie et des colonies, Paris, T15, 1854, pp.117- 122
- (27) Ibid, p.119.
- (28) ضابط فرنسي مكلف بالشؤون العربية لدى وزارة الحرب بالجزائر خلال الفترة الاستعمارية. عين قنصلا بعاصمة الأمير عبد القادر بمعسكر في نوفمبر 1837 إلى غاية أكتوبر 1839. كلفت فرنسا بمرافقة الأمير في منفاه بحسن لا مبالغ في جانفي 1848.
- تقلد رتبة جنرال سنة 1850، له عديد الدراسات حول تاريخ و جغرافية و مجتمع الجزائر، أهمها الصحراء الجزائرية. للمزيد يرجى العودة إلى:
- Alain, Messaoudi, Les arabisants et la France coloniale, Lyon, 2ditions, 2015, pp.121-123.
- (29) Dumas, Le Général Eugène, la vie arabe et la société musulmane, Paris, la librairie nouvelle, 1869, pp.225-242
- (30) Ibid. pp.227-228.
- (31) Clément, Duvenois, L'Algérie pittoresque (Description, Mœurs, coutumes, commerce), Paris, J.Rouviere Libraire-éditeur, 1863.pp.99-136.
- (32) Ibid. p.113.

(33) هلايلي، حنيفي، " شخصية سيدي محمد الهوراي في الكتابات الإستشراقية الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية :رصد بيبليوغرافي"، مجلة الحوار المتوسطي، مج 8، العدد1، ، 2016 ، ص ص 328-350.

<https://www.asjp.cerist.dz/en/article/25234>

Basset, René, « Œuvre scientifique de la France en Algérie et nord Afrique », In, (34) Journal asiatique, T 20, 1920.pp.89-96.

Bel ,Alfred, « René Basset », In,R.A,n°65,1924,pp.12-19 (35)

(36) قام باصبيه بفهرسة مخطوطات زاوية الهامل ببوسعادة بعد ما كلفه الجنرال كولي (Collet - Meygret) سنة

1896، و أنجز العمل في فهرسة أحصى فيها مخطوطاتها ب53 في 99 مجلد ،تحتّم بميادين المعرفة التالية: (الفقه-تفسير

القرآن- التاريخ- التصوف- وعلوم اللغة.)

René, Basset, « Les dictons satiriques attribués à Sidi Ahmed Ben yousef », (37) In, Journal asiatique, septembre-octobre, T.XVI, 1890, pp.203-297.

(38) الطاهر، بونايب، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 الهجريين /12 و 13 الميلاديين، عين مليلة: دار الهدى،

2004.

(39) الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المغرب و الجامع العرب عن فتاوى علماء افريقية و الأندلس

و المغرب(أخرجه جماعة من الفقهاء تحت إشراف محمد حجي)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ج2، ص395.